مجلة سوسيولوجيون P-ISSN: 2716-9170
المجلد: الثالث، العدد: 02، السنة 2023 E-ISSN: 2773-3459

الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية من منظور المفكرين العرب

The cultural crisis in Arab societies from the perspective of Arab thinkers

حنان بوطورة*، مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية-جامعة 20 أوت 1955.سكيكدة(الجزائر)
h.boutora@univ-skikda.dz

تاريخ الإرسال: 08-01-2023 تاريخ القبول: 11-02-2023

ملخص:

تسعى الدراسة إلى استطلاع وجهة نظر المفكرين العرب على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية لمفهوم وأسباب الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية، من عدة نواحي منها: الثقافي والسياسي والاقتصادي

ومن الاستنتاجات المتوصل لها أن الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية ذات بعد ثقافي فكري يعود لأسباب داخلية تتعلق بغياب الحس النقدي للأفكار التي تتبناها خارج حدود ثقافتها الأصلية ما أوجد صراعا بالمرجعية الثقافية بالفضاء السوسيوثقافي لهذه المجتمعات انعكس على منطلقات مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي أصبحت متناقضة وعاجزة عن إرساء مناعة ثقافية لدى الأجيال الجديدة، وعمق أثر ذلك العوامل الخارجية المرتبطة بمخلفات الاستعمار التقليدي والحديث بما يروج له من ثقافة استهلاكية وقتية من خلال وسائل الإعلام و حتى تتجاوز المجتمعات العربية تبعات الأزمة الثقافية على الواقع الثقافي والاجتماعي وما أوجدته من ركود تنموي وجب أن تستثمر بالمعادلة الاجتماعية لخصوصيتها الثقافية لتأسيس بناء ثقافي متجانس في مكوناته وقادر على مواكبة التحولات الثقافية العالمية دون الخروج عن مقومات هويته الأساسية.

الكلمات المفتاحية: الأزمة الثقافية؛ صراع المرجعيات الثقافية.

Abstract:

The study seeks to explore the point of view of Arab thinkers of different intellectual orientations on the concept and causes of the cultural crisis in Arab societies, in several aspects, including: cultural, political and economic.

Among the conclusions reached is that the cultural crisis in Arab societies has a cultural and intellectual dimension due to internal reasons related to the absence of a critical sense of the ideas that they adopt outside the borders of their original culture, which created a conflict with the cultural reference in the socio-cultural space of these societies, which was reflected in the starting points of the institutions of socialization that have

become contradictory and unable to establish cultural immunity. Among the new generations, and the depth of the impact of the external factors associated with the remnants of traditional and modern colonialism, with what it promotes of a temporary consumer culture through the media, in order for Arab societies to overcome the consequences of the cultural crisis on the cultural and social reality. The developmental stagnation it created must be invested in the social equation of its cultural specificity to establish a cultural building that is homogeneous in its components and capable of keeping pace with global cultural transformations without deviating from the basic elements of its identity.

Keywords: Cultural crisis; the clash of cultural references.

مقدمة:

يشهد الواقع الاجتماعي بالمجتمعات العربية اليوم انفصال بين الفكر والممارسة نتيجة ما تعيشه هذه المجتمعات من تحولات نتيجة سعيها منذ الاستقلال إلى التحول من الطابع التقليدي إلى الطابع الحداثي دون التخطيط الجيد لبناء مشروع مجتمعي واضح يمكنها من تجاوز حالة التضاد بين العديد من المنطلقات الفكرية لهذه الحضارة ومنظومتها القيمية والمعيارية ما جعل من الصعب إيجاد تربة صالحة لنمو تصورات ايجابية عن الذات والثقافة الأصلية للمجتمع عند الأجيال الجديدة، وأصيبت الثقافة الأصلية بهذه المجتمعات بحالة من الضعف والعجز جعلتها غير قادرة على التفاعل الإيجابي مع محيطها العالمي، وإعادة إنتاج رموزها وأفكارها وما تحمله من دلالة ومعنى بالاعتماد على ما يستقطبه مركز هويتها من أفكار جديدة، كما غيبت هذه الأزمة مفهوم العمل الجماعي في مقابل مفاهيم العشائرية والعصبية والفئوية، فأصبحت عاجزة عن تجاوز مشكلاتها داخل حدودها بالاعتماد على الفعالية الفكرية لشبابها.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية للتعرف على دور مفهوم هذه الأزمة الثقافية وتقصي أسبابها لفهم هذه الظاهرة بصورة تمكن من مواجهة تبعاتها على الواقع الثقافي والتمكين من فتح آفاق جديدة لإيجاد مشروع مجتمعي يحتضن طاقات المجتمع وينظمها لتساهم في تجاوز تبعات ما مضى ويبنى للمستقبل يعيد للواقع الثقافي العربي توازنه من جديد ومن هذا المنطلق كانت الاشكالية التي تبحث فيها هذه الورقة كالتالي:

ما هي أسباب الأزمة الثقافية بالواقع الاجتماعي للمجتمعات العربية من وجهة نظر المفكرين العرب؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم صياغة تساؤلات فرعية كالتالي؟

1. ما هي الأزمة الثقافية العربية؟

2. ماهي أسباب الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية من منظور المفكرين العرب؟

وانطلاقا من ذلك تحدد أهداف هذه الورقة البحثية في النقاط التالية:

- التعرف على التحولات السوسيو ثقافية بالمجتمعات العربية
- إلقاء الضوء على تجليات الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية من منظور المفكرين العرب
- التعرف على أسباب الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية من منظور المفكرين العرب

1.مدخل مفاهيمي للأزمة الثقافية:

يعرفها **مالك بن نبي** بأنها حالة يعيشها مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية، فيكون في شكل تكيف لا سوي للأفراد داخل المجتمع نتيجة حرمانهم من جو ثقافي سليم، ويظهر على المستوى الفردي في شكل سلوكيات كالعزلة الاجتماعية والتقوقع والهروب من المسؤولية، كما يظهر على مستوى المجتمع في شكل عجز عن إنتاج الأفكار لمواجهة مشكلاته والعجز عن التعايش السوي مع باقي الثقافات. (بن نبي، 2000، صفحة 91)

ويعرفها أيضا على أنها: حالة تعيشها حضارة ما في مرحلة زمنية من تاريخها تعبر عن خلل على مستوى الالتزام القائم بين الفرد والمجتمع على أساس عقد الثقافة، حيث تغلب مصلحة طرف على آخر. (بن نبي، 2000، صفحة 92)

ويشير مفهوم الأزمة الثقافية عند **كارل ماركس** إلى حالة من الشعور بفقدان قيمة الذات التي تعيشها طبقة البلوريتاريا داخل المجتمع الرأسمالي أين تكرس الطبقة المسيطرة كافة أنظمته الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية من أجل الحفاظ على السلطة والقوة التي تقهر من خلالها طبقة العمال، وتستند في ذلك إلى امتلاك وسائل الإنتاج، الأمر الذي يجعل طبقة العمال وعائلاتهم يعيشون بالاغتراب في كافة مناحي الحياة. (وابل، 2013، صفحة 96)

في حين يرى **استوكلز** بأن الأزمة الثقافية هي نوع من الخبرات التي يحملها الأفراد ويمرون بها مع أنفسهم أو مع الآخرين ولا تتصف بالتواصل والرضا، ويصاحبها كثير من الأعراض هي العزلة والتمرد والرفض والانسحاب والخضوع. (محمد أبو شعيرة، 2013، صفحة 246)

وتعرف **الأزمة الثقافية** أيضا أنها انفصال الفرد عن النظام الاجتماعي، وأسلوب الحياة المتبع في بيئته الثقافية نتيجة الاعتقاد بعدم جدواها في تحقيق متطلباته، والاعتماد على مرجعية ثقافية تستند إلى ثقافة أخرى في تسيير أمور حياته وتحديد اتجاهاته وتصوراته لجوانب الحياة المختلفة، مما يسبب عجزه عن المشاركة الفعالة في التصورات المستندة إلى الموروث السائد في ثقافته، فتظهر عليه أعراض سلوك لا سوي كالانسحاب والعزلة الثقافية والعجز الثقافي واللامعيارية (هدهود، 2012، صفحة 14)

وتأسيسا على التعريفات السابقة يمكن تحديد مفهوم **الأزمة الثقافية** في هذه الدراسة بأنها: حالة من التضارب في المرجعية الثقافية وغياب ثوابت بالفضاء السوسيو ثقافي للمجتمعات العربية

توجه حياة الأفراد النفسية الاجتماعية بمختلف مجالاتها، وهو ما ينتج عنه من سلوكيات تبني معايير استهلاكية سريعة ووقتية تتسم بغياب البعد الاجتماعي وتعبر عن غياب المعنى في حياتهم الفردية والاجتماعية والعجز عن التواصل مع معايير ثقافتهم الأصلية.

2.أسباب الأزمة الثقافية بالمجتمع العربي من منظور المفكرين العرب:

2.1 الحروب والأزمات المختلفة:

تعرضت الشعوب العربية التي عانت من الاستعمار إلى عملية محاولة مسح للهوية الثقافية من قبل المستعمر؛ حيث هدف الاستعمار إلى إيجاد أنماط معينة من التعليم والمناهج المقررة على أبناء الدول المستعمرة توجد جيل ونخبة توالى الثقافة الغربية للاستعمار وتؤمن بها، فالاستعمار الفرنسي بالجزائر مثلا عمل على طمس كل ما له علاقة بالتراث الوطني من أسماء العلماء والأدباء والفلاسفة وحتى أسماء الشوارع والمدن وكانت الشخصية الجزائرية تصور في المقررات الدراسية على أنها ذليلة وتابعة، وتظهر المرأة في صورة الخادمة والرجل في صورة الراعي المسكين من أجل تلقين الفرد الجزائري كيف يحتقر نفسه وثقافته وينفصل عنها (السويدي، د.ت، صفحة 38) ، يقول **أبو القاسم سعد الله**: "إن المفردات والتعابير التي استعملها أصحاب الأقدام السوداء في صحفهم ورواياتهم.... لوصف الإنسان الجزائري هي مفردات وتعابير قد يتحرج بعض الجزائريين اليوم من نطقها أو حتى الهمس بها، ولكن آذان أهلهم وأمهاتهم وأخواتهم طالما سمعتها وتأذت منها" (سعد الله، 1996، صفحة 48).

كما أخذ الاستعمار الفرنسي من اللغة العربية و الإسلام ذات الموقف العدائي فقد أصدر في: 1938/03/08 قرار حكومي رسمي يعتبر فيه اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية يحظر التعامل بها رسميا (فهد النفيسي، 1986، صفحة 15) ، في حين سعى إلى تعليم المستوطنين والفرنسيين اللغة العربية الفصحى والعامية الجزائرية من أجل التحكم في الحياة الثقافية بالجزائر، إذ كان المتصرف المدني **بريسون** الذي خلف **جنتي دي بوسي** في الإدارة المدنية بالجزائر سنة 1836 يؤكد على ضرورة تعليم العربية والعامية الجزائرية للأوربيين المستوطنين بالجزائر، وكذا الضباط كآلية لنجاح الاستعمار ويحرم ذلك على الجزائريين، ومنه فالاستعمار في أي بلد حل به لم يركز على الهدف السياسي أو الاقتصادي فحسب وإنما تجاوز ذلك إلى الهدف الثقافي والفكري (سعد الله، 1996، الصفحات 25-32)

ويقول **فرانتز فانون**: "مادام الوضع الاستعماري قائما فإن الثقافة تنضب وتحتضر لأنها تكون محرومة من ركيزتها الأمة والدولة، وعلى ذلك فان التحرير الوطني آو القومي أو انبعاث الدولة هو شرط وجود الثقافة". (نويل سميث و هور، 1991، صفحة 378)

2.2. تدمير منظومة القيم والمعايير المشكلة للوحدة الاجتماعية

أدى تحول المجتمعات العربية من الحالة التقليدية إلى الحالة الحضارية لتغير في كافة ميادين الحياة الاجتماعية ويجسد ذلك حالة الصراع القيمي والمرجعي الذي تعيشه هذه المجتمعات وما نتج عنه من

حالة عدم الاستقرار الثقافي إذا تجمع الثقافة العربية اليوم بين ثقافات متباينة تقليدية وأخرى حداثية فأوجد وهذا نوعا من الفوضى الفكرية والصراعات بين اتجاهات متعددة طالت النخب قبل العامة، فتحولت المصلحة العامة والمشتركة إلى صراع وتراشق بالتهم بين من يحملون شعارات الصحوة والتقدم ولا يوجدون في واقع الأمر إلا مزيدا من الدمار، إذ أن هذا الصراع جعل الغاية عند كل من الاتجاهات المتباينة تبرر الوسيلة، إضافة إلى أنه لم يعد يقتصر على أصحاب الاتجاهات المتعارضة، إنما أضيف له الصراع الداخلي بين أصحاب الاتجاه الواحد مما سبب إرباكا في الإطار ثقافي الذي يخبر بشيء ويفعل نقيضه متى ما تعارض مع المصالح الشخصية .

وبالتالي لا ترتبط هذه الأزمة الثقافية التي يشهدها الواقع الثقافي العربي بالصراعات النفسية التي يمكن أن يعاني منها الأفراد بقدر ارتباطها بالصراع الحضاري داخل مجتمع ما بين ثقافة محلية وأخرى أجنبية، أي أنه يرتبط بأسباب موضوعية خارجة عن ذات الفرد؛ حيث تعبر الأزمة الثقافية عن خلل في العلاقة بين الفرد وثقافة انتمائه، وتتجاوز العلاقة بين الفرد وذاته إلى مستويات أشمل ترتبط بانتماء الفرد الثقافي سواء على مستوى انتمائه الجغرافي، أو على مستوى انتمائه الحضاري. إذ يرى **مالك بن نبي** أن الأفراد يتكيفون مع البيئة التي يعيشون ضمنها، وبتالي فالمجتمع الذي لا يوفر للأفراد جو ثقافيا سليما من التناقضات والاضطرابات لا بد أن يكون فيه سوء تكيف ثقافي على مستوى الأفراد (بن نبي، 2000، صفحة 93) ، ويقول **برهان غليون** في ذلك: "قد بدأ التغيير في البنى الاجتماعية والفكرية، بما فيها البنية الذهنية، مع بداية الصدام مع الغرب وخلال الحرب الطويلة التي أعقبت ذلك ولهذه الحرب بين الشرق والغرب مضمون اجتماعي وتاريخي " (غليون ، 1986، صفحة 57)

كما يرى أيضا أن أخذ السياسات العربية بإطار التفكير الغربي بعد الاستقلال أدى إلى تفكيك الثقافة كبنية اجتماعية، وفكك القاعدة الثقافية المشتركة فأوجد محلها ثقافات فئوية وفردية ترتبط بالدفاع عن مصالح أيديولوجيات فردية أو فئوية متصارعة فيما بينها، وحينما تم ربط الثقافة بالأيديولوجيات الفردية فقدت بعدها الاجتماعي فانقسم المجتمع إلى فئات وأفراد لكل قيمه ومرجعتيه التي تسعى إلى السيطرة الاجتماعية وهذا بالنسبة له سبب كل تخلف وتشتت في الهوية يقول:" إن نقد "التخلف" الفكري والثقافي السائد: المحافظة من جهة والتغريب من جهة ثانية، يتطلب نقد السياسة الثقافية المتبعة من قبل الحكومات، والمسبقات الفكرية، والأطروحات النظرية التي سندت هذه النظريات ومازالت تؤسس لها" (غليون ، 1986، صفحة 58)

وقد ذهب **جيرارليكلرك** إلى أن الإيديولوجيات العلمانية أوجدت جماعات اجتماعية وثقافية فصلت الدين عن المجتمع لتجعله شئنا خاصا وفرديا أي أنها سحبته من الوعي الجمعي داخل المجتمعات لتحل محله العلوم الوضعية والآراء الفردية. (ليكلرك، 2004، الصفحات 425-426)

ويقول **حسن حنفي** في وصف أزمة الهوية الثقافية داخل البلدان المستقلة حديثا والتي أخذت بالمنطلقات الفكرية للمستعمر بعد استقلالها: "لقد هدمنا كل شيء، وكفرنا بكل شيء، ولم يعد هناك قضية يمكن الدفاع عنها، ومن ثمة استحالة تربية المواطن، وصعب إيجاد إطار مرجعي يمكن الرجوع إليه، أو معيار يمكن القياس عليه، ولقد أنهينا كل شيء بأيدينا، وحطمنا مثل أجيال عديدة، وهززنا قناعات ربينا عليها، وراحت ضحيتها ألوف الشهداء، ما دافعنا عنه في الماضي أصبح موضوع شك وعدم اكتراث مثل الاستقلال الوطني، ما حاولنا التخلص منه في الماضي بما في ذلك التخلص من المستعمر وطرد المحتل أصبح الآن موضوع نداء واستجداء، لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب، وتحولنا مائة وثمانين درجة من الشيء إلى نقيضه" (نويل سميث و هور، 1991، صفحة 405)

ولعلا من أبرز وأخطر مظاهر الأزمة الثقافية بالوطن العربية كما يراها **مالك بن نبي** هو انعكاس التوازي الذي يقوم عليه الحراك الاجتماعي بين سلم القيم الثقافية والسلم الاجتماعي في هذه المجتمعات حيث أنهما يسيران في المجتمع المتوازن في اتجاه واحد من الأسفل إلى الأعلى فكلما ارتقى الفرد في سلم الثقافة لازم ذلك ارتقائه في السلم الاجتماعي وتكون المراكز الاجتماعية موزعة بحسب درجات الثقافة، أما في هذه المجتمعات التي تعاني أزمة ثقافية فإنه انعكس اتجاه السلمين انعكاسا كليا بحيث أصبح الأفراد الذين هم في قاعدة المجتمع أثرى ثقافيا على الأقل من الناحية الأخلاقية من قيادات المجتمع، وبلوغ المجتمع هذه الدرجة من الأزمة الثقافية يجعله يصبح عاجزا ثقافيا عن إنتاج الأفكار والمعاني التي يواجه من خلالها مشكلاته داخل حدوده لأن الذين من ينتجون الأفكار في قاعدة المجتمع لا يستطيعون بلوغ أماكنهم المفترضة في قيادة المجتمع نحو الإبداع والإنتاج فتلجأ القيادة العاجزة ثقافيا إلى استيراد الأفكار الجاهزة من مجتمعات تختلف عنه في أطر الثقافة القائمة مما يزيد في حالة الأزمة الثقافية داخل المجتمع، حيث لا يعود المجتمع قادرا على التعايش مع باقي الثقافات إلا من منطلقين متناقضين كل منهما أسوء من الآخر فالأول منطق التقوقع والتعصب الثقافي والثاني الانهزامية أمام ثقافة الآخر، فالأول يعرض الشخصية للتلف وعدم النمو والثاني يعرض الكرامة للمهانة. (بن نبي، 2000، صفحة 94)

كما أن حالة التضارب في المرجعيات الثقافية والتعدد في الاتجاهات القيمية والمعيارية داخل هذه المجتمعات من شأنه أن يولد داخل أفراده الغموض الذي يقودهم إلى أحد طرفين فإما أن يفقدوا المعنى في الحياة الاجتماعية فينسحبوا منها أو قد يقودهم ذلك الغموض في المرجعية التي يبنون من منطلقها هويتهم وانتمائهم إلى اللجوء للتطرف بالانتماء إلى أحد الاتجاهات السائدة بالقبول المطلق والرفض لباقي الاتجاهات رفضا مطلقا انطلاقا من تقسيمات غاية في التبسيط كآلية لمواجهة الغموض، لأن غموض التوقعات والمعايير الاجتماعية تجعل الفرد يعيش حالة صراع نفسي ويغلب عليه الخوف من المستقبل، فيعجز عن اختيار السلوك المناسب لكل موقف وعن اتخاذ القرارات فيظل في حالة خوف

مستمر من الفشل ولا يستطيع إشباع حاجته لتقدير الذات الأمر الذي يمكن أن يدفعه إلى الانتماء لجماعة معينة على أساس قوتها في المجتمع مثلا ليحقق المكانة والتقدير لذاته ويجد هوية مميزة من خلال الجماعة التي يتعصب لها، والأفراد ليس لديهم القدرة النفسية ذاتها التي تجعلهم يستطيعون مواجهة القلق والصراع النفسي والاضطراب الناتج عن الغموض في بيئتهم الثقافية والاجتماعية بإيجابية.

ويرى **غليون** أن من أهم أسباب الأزمة الثقافية بالواقع الثقافي العربي هو تدمير منظومة القيم والمعايير المشكلة للوحدة الاجتماعية نتيجة الانتقال من الطابع التقليدي للمجتمعات إلى الطابع الحداثي الذي استبدل التوازن الثقافي التقليدي بتوازن اقتصادي هش مما سهل عملية الدمج الثقافي للمجتمعات العربية ضمن الثقافة الغربية وذلك بتراجع المنظومة القيمية الأولى في نسق القيم لتحل محلها منظومة القيم الاقتصادية الاستهلاكية والوقتية التي لا تحقق وحدة بقدر ما تخلق تنافرا وصراعا فكانت الأزمة الثقافية نتاج اتخاذ النخبة نماذج التوازن الغربية بديلا عن التوازن الثقافي للمجتمعات التقليدية القائم على التواصل بين العقل المثقف والجماهير وترسيخ منظومة ثقافية تعزز الوحدة وعوضها بمنظومة جديدة قائمة على التوازن الاقتصادي جعلت المجتمعات العربية تصبح نسخة مشوهة للمجتمعات الغربية باتجاهاتها القيمية والمعيارية ، ومنه سبب تشتت هوياتي للنخبة واغترابا روحيا للجمهور؛ كما ذهب **غليون** إلى أن الصراع القيمي الذي أنتجه صراع المرجعيات الثقافية التقليدية والحداثية داخل المجتمعات العربية سبب غياب نظام قيمي مرجعي مشترك على جميع الأصعدة الثقافية كالعادات والتقاليد وغيرها فظهر الصراع من أجل السلطة والأهواء والمصالح الفردية وغاب أي معنى في الحياة الاجتماعية حيث فقدت كل من القيم التقليدية والحداثية تماسكها على السواء وانعكس ذلك على غياب الفاعلية والمعنى من جميع الأنشطة والفعاليات الاجتماعية والتوجه نحو السلطة والهيمنة والقوة كوسائل لتحقيق المكانة ، فلم تعد إلا السلطة قيمة ممكنة ، كما تحول الرأس المال الثقافي إلى تجارة عند النخبة وزال التفكير والإنتاج الثقافي الجاد وساد فكر احتكار الثقافة كوسيلة للسلطة والهيمنة والمال. (غليون ، 1986، الصفحات 122-281)

كما أكد **حسن العاصي** على أن أزمة الثقافة العربية في شق منها أزمة حوار فقد غابت عن المشهد الفكري والثقافي في الوطن العربي وفقه ثقافة الحوار ، فمعظم المفكرين والمثقفين انقسموا في شلل ومجموعات فكرية عصبوية ضيقة، وتقوقعوا على أنفسهم بدلاً عن القيام بدورهم الأساسي في أن يكونوا في الطليعة في نشر ثقافة الحوار وفي التصدي للمهام الثقافية والاجتماعية، والكثيرين منهم للأسف أظهروا نرجسية فكرية وتعالي واتسم تعاملهم مع الآخرين بالنظرة الفوقية ، الأمر الذي ساهم في عزلهم وانعزالهم بدلاً عن الانفتاح على الآخرين وثقافتهم ومحاورتهم والقبول بالاختلاف الذي هو سنة الكون (العاصي، 2015)

ويذهب **أبو القاسم حاج حمد** إلى الدور المهم للنخبة المثقفة في مواجهة الأزمة الثقافية واستعادة الوضع السليم للثقافة بقدر ما كانت سببا فيها وذلك بالكف على اعتبار الاختلاف على منطلقات الصحوة تناقضا لأن ذلك يدفع كل فريق إلى اعتبار الآخر عدوا يهدد وجوده ويتجاهل الهدف المشترك، ومن هنا يظهر التعصب الذي لا يفيد أي من الفريقين ويسبب التناحر وليس الصحوة (أبو القاسم حاج حمد، 1997، صفحة 398)، وقد ذهبت **فيروز مامي زرارقة** إلى أن هناك أزمة يعيشها المثقف الجزائري صارت تؤثر على الوضع والإطار الثقافي العام وتتمثل في نقاط هي: (فيروز، 2014، الصفحات 91-95)

- الانعزالية الاجتماعية: وتعني انكفاء المثقف على ذاته وتحقيق المصالح الفردية وفقدان التواصل مع مجتمعه.
- الإخفاق في تكوين قيم حضارية عصرية خاصة بالأمة، انطلاقا من هويتها الحضارية والتاريخية ومرجعتها الدينية الإسلامية.
- الإخفاق في عملية الارتقاء الحضاري وتكوين معطيات وعمليات جادة للتواصل مع مجتمعه.

وترى أن على المثقف الجزائري أن يحدد مواقفه بشكل واضح اتجاه التغيرات ليتمكن من استيعابها ضمن الإطار الثقافي الذي ينتمي إليه وفق خصوصيته الحضارية ويكون قادرا على توجيه الأفراد وخاصة الشباب إلى القدرة السريعة على التكيف، ويوجد لديهم روح المبادرة كي يكونوا قادرين على الجمع بين الهوية الذاتية الواضحة والانتماء الحضاري المحدد في آن واحد، فالصراع اوجد أزمة ثقافية قللت من شأن الفرد الجزائري وجعلته يتقوقع وتقل روح الإبداع والقدرة على الإنتاج فيه، كما صارت لديه روح انهزامية تجاه ثقافة الغرب، مما جعل الجزائر تعاني من أخطار انمحاء الهوية وروح الانتماء في السنوات القليلة الماضية.

أما **علي حرب** فقد ذهب إلى أن مشكلة النخب الثقافية ليس إلا فكرة النخبوية التي أوجدت حاجزا بينهم وبين عامة الناس الذين فقدوا التواصل مع النخبة ففقدت النخبة التواصل مع الناس، إن على النخب كي تعيد التواصل مع الناس والمجتمع أن تعيد النظر في علاقتها بهم بأن يتجاوزا عالم الاصطفاء الذي يحشرهم في بوتقة التفكير العدمي الذي لا يرتبط بفعل وان يتوجهوا إلى عامة الناس ويساهموا فعليا في تغيير الواقع وذلك بإنتاج الأفكار والمعاني والمفاهيم التي تجد مجالا تداوليا لها بين الناس، لا يجب أن يعمل المثقف على توجيه قطيع من الأغنام من خلال الوصاية على العقول، وإنما عليه أن يعمل على صناعة العقول التي تفكر وتنتج، فلا تحدث القطيعة بين المثقف والواقع الاجتماعي بجميع فئاته (حرب، العالم ومأزقه، منطق الصدام ولغة التداول، 2000، صفحة 208)

وهو ما يؤيده رأي أنصار مدرسة فرانكفورت في أنه لما يحدث انفصال بين النخب المثقفة وبين الواقع الاجتماعي وتصبح تحلق فوق الواقع الاجتماعي بفكرها و تتجاهل الأزمات التي يعاني منها المجتمع

في سبيل الحفاظ على النظام تظهر اللامعيارية والخروج على النظام ، فإذا كان المجتمع يلمس حقيقة وجود ظلم اجتماعي والنخب تعبر عن الانسجام والوحدة فإن ذلك سيؤدي إلى انفصال الطبقة التي تعاني من الظلم عن الإطار الثقافي والقواعد العامة التي تحكم المجتمع واغترابها عنه لتشكل وعيا ثقافيا جديدا يعبر عن مشكلاتها وتوجد عندها أزمة ثقة في النخب التي تقفز فوق مشاكلها لتحافظ على وضع قائم ، وتصبح معارف النخب عبارة عن تأسيس في الفراغ تهدف إلى تكوين علاقات منطقية تفرض على الواقع الاجتماعي ولا تسمح للفكر بالتجديد والتطوير (هوركايمر، 1990، الصفحات 48-50)

3.3 الاتجاهات المتعارضة لمؤسسات التنشئة الاجتماعية:

يمكن أيضا أن تتبنى مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع اتجاهات إيديولوجية وفكرية متعارضة ولا يتم التنسيق فيما بينها من أجل إيجاد ثقافة مشتركة يتم تنشئة الأجيال الجديدة وفقها إلى حدوث أزمة ثقافية، فمثلا وجود مؤسسات التنشئة الدينية والمدارس الخاصة الأجنبية والمدارس العامة بما تتبناه كل منها من أهداف وما تبنى عليه من إيديولوجيات يمكن أن توجد الإرباك داخل المجتمع وداخل ذات الفرد الذي قد يدفعه التعارض والتناقض بين معايير السلوك الواجب الالتزام بها والقيم التي يأخذها كأهداف(عمار، د.ت، صفحة 8)

كما يمكن أن تكون طبيعة المناهج التربوية مصدرا للأزمة الثقافية إذا كانت منتجة للعجز الثقافي حينما لا ترتبط أهدافها بالوصل بين الفرد وواقعة الاجتماعي بل تتعلق بتلقينه مجموعة من المعارف والمعلومات التي لا يدري لها علاقة بواقعه المعاش، فالمناهج التي تعمل على تنمية العقل التحليلي الذي يقدر على إنتاج الأفكار والمعاني والنقد البناء لما يتلقاه من معارف تستطيع أن تقاوم العجز الثقافي، أما التي لا تقوم إلا على استظهار وتلقين مجموعة من المعلومات فإنها ستؤدي لا محال إلى نفور الفرد من الدراسة والمدرسة فلا تعود تأثر في توجيهه وتربيته التربية السليمة، أي لا تنتج عقولا متفتحة على المعارف بقدر ما هي عقول عاجزة عن التفكير بل أكثر من ذلك ترى فيه ترفا زائدا عن حاجاتها، فالطفل بحسب ما يتلقى من تربية وتعليم ينشئ ليمثل ما تلقاه، وحالة العجز الثقافي تعبر بالدرجة الأولى عن عجز في المناهج التربوية إما لخلل معين في الطريقة أو في المضمون، فالمدرسة هي المكان الذي يقضي في الطفل جل وقته لذا تعد مسؤولة بالدرجة الأولى عن الهوية الثقافية للمجتمع ومدى وضوحها في أذهان الأجيال الجديدة. (الحروب، 2014، صفحة 205)

ويتمثل المظهر الفكري للأزمة الثقافية عند **ارنولد** في ظهور العجز عن إنتاج الأفكار والمعاني والتجديد فيهما، واللامبالاة بالقراءة والتعليم في مقابل الجانب المادي للثقافة، حيث ذهب **ارنولد** إلى أن أهم مظاهر الأزمة الثقافية في المجتمع البريطاني في القرن 19 هو التركيز على الحياة المادية وجمع الثروة في مقابل إهمال الجانب الفكري حتى أصبحت الحضارة توازي الثروة والإنسان المتحضر ليس من يملك مقدارا رفيعا من المعرفة بأفضل المعتقدات السائدة في العالم إنما هو الذي يمتلك أكبر قدر من الثروة،

هذا في رأيه ما أدى بالعمال إلى المطالبة بالعدالة وحقهم في أن يعملوا ما يرغبون فيه على الرغم من أنهم لا يمتلكون المعرفة والثقافة التي تؤهلهم، وسبب ظهور اللامعيارية عند الطبقة العاملة هو أنه على الرغم من كونها الأقل ثقافة فهي تطالب بعمل ما تحب لغياب الوعي بأهمية الثقافة والمعرفة في الإنتاج والتركيز على الإنتاج ذاته والماكنة كأساس للإنتاج و بما أنها ترى نفسها الأقدر على تسيير الآلات والإنتاج فإنها رأت أن لها الحق في اختيار ما تحب من عمل. (هولبورن، 2010، الصفحات 40-41)

4.4.الثقافة الاستهلاكية بوسائل الاعلام والاتصال:

رأى **ليفس** أن أهم مظاهر الأزمة الثقافية هو انحطاط الثقافة والذوق العام للجماهير، ويشير إلى أنه في الماضي كانت الثقافة المتعالية التي تبعث الحياة في الفكر وتشجع على الإبداع في متناول الجميع وليست النخبة المثقفة وحدها من تشاهد المسرحيات الراقية مثل مسرحيات **شكسبير** بل حتى الجماهير العامة، فكانت هناك دائما تلك القلة المتميزة بالذوق الرفيع الذي تميز به بين الجيد والرديء من الفن، أما في الثلاثينات فيقول أنه تغير الوضع وأصبحت أذواق العامة من الجماهير والنخبة على حد سواء مهددة بثقافة جديدة سميت بثقافة الجماهير وهي ثقافة استهلاكية وقتية تشجع على الكسل الفكري وأصبحت تلقى رواجا بين العامة لسهولتها ولأنها لا تتطلب جهد فكري كبير وحلت السينما بما تروج له من إغراءات عاطفية رخيصة محل الفن الراقي فانتكست الأذواق ولم تعد قادرة أمام الكميات الهائلة التي تفرزها ثقافة الجماهير على التمييز بين الجيد والرديء فلم يبقى إلا قلة قليلة لازالت تحافظ على سلامة الذوق في وجود هذه الثقافة الجماهيرية وما يزيد من حدة المشكلة بالنسبة له هو التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة ، فالأضرار التي لحقت الثقافة كانت نتاج التحديث وظهور التسلية السلبية التي لا تشجع الناس على التفكير (هولبورن، 2010، الصفحات 40-41).

وأشار **هانز شتيفر** إلى أن الثقافة الاستهلاكية في القرنين 19 و20 جعلت الثقافة تتحول من وعي بالحياة إلى تكديس للمعلومات من أجل التوظيف العملي، فهي لا تقدر على قيادة الإنسان لبلوغ الحضارة لأنها لا تنمي فكرا ولا تمنح للإنسان وعيا بمشكلاته بقدر ما تزيدها، لأنها ثقافة استهلاكية تراكمية ركزت على الكم وأهملت الكيف، فنحن اليوم نعيش ركود ثقافي ذو بريق مخادع يوهمنا أننا في قمة الثقافة والحضارة، ويقول في ذلك: "وحين صارت الثقافة تحصيل المعلومات لم تعد وعيا بل عملية تجميع والخوض في التطبيق العملي". (السقاوي، 1988، صفحة 86)

وعن تأثيرات الاعلام على البنية الثقافية للمجتمع فيشير **عزي عبد الرحمان** إلى أن الأساس الذي يحدد علاقة تأثير الزمن الإعلامي في تفكيك البنية الثقافية للمجتمع، هو طبيعة المحتويات التي يتعرض لها أفراد المجتمع إذا كانت تنسجم أو تتعارض مع قيمه، ويذهب أنصار نظرية الغرس الثقافي التي ترجع أصولها إلى العالم الأمريكي **جوروج جربنر** إلى أن للإعلام دور هام في عملية بناء المعنى وتشكيل الحقائق الاجتماعية والتعلم من خلال الملاحظة وكذا التأثير في معرفة الأفراد الذين يتعرضون بكثافة إلى

محتوى وسائل الاعلام، إذ تعمل وسائل الاعلام على غرس وتشكيل وعي اجتماعي عن حقائق الواقع الاجتماعي تصبح بصفة تدريجية أساسا للتصورات الاجتماعية والصور الذهنية التي يفسر من خلالها هؤلاء الأفراد معطيات واقعهم وما يحيط بهم من أحداث انطلاقا من تلك القيم التي يقوم الاعلام بغرسها فيهم عن طريق التعلم العرضي الذي ينتج عن التعرض التراكمي للمحتوى الذي تقدمه. (طالة، 2014، صفحة 138)

وتأسيسا على ذلك يتضح الدور المهم والفعال الذي تلعبه وسائل الاعلام في تعميق أو مواجهة انعكاسات الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية على الشباب، إذ يعتمد ذلك على ما تقدمه من محتوى يمكن أن يساهم في تعزيز قيم المعرفة والإنجاز والمبادرة والانتماء الثقافي لدى الشباب كما يمكن ان تعزز لديهم قيم التسلية والقيم الهابطة والمعايير المضادة لثقافة المجتمع فالإعلام سلاح ذو حدين وجب تشكيل إرادة سياسية واجتماعية حقيقية توجه محتواه بما يخدم قيم ومعايير والأهداف الحضارية لهذه المجتمعات، خاصة عن طريق مواجهة قيم التفرقة والانقسامات الاجتماعية والقبلية التي تجعل من أرض التنمية أرضا رخوة لا تصلح للتأسيس لأي مشروع مجتمعي وتنهار على عتبتها كل مجهودات التنمية الثقافية والحضارية.

وعلى الرغم من التأثير الذي تتركه وسائل الاعلام التقليدي في البناء الثقافي للمجتمعات إلا أن دور الاعلام الجديد يكون أضعافه نظرا لكونه المعبر عن عصره ومنطلقاته، وهو الاعلام الرقمي الذي من أهم أدواته الانترنت التي وإن كانت مثلما وصفها **بالقزيز** تمثل قمة ما وصلت له ثورة التكنولوجيا الحديثة للاتصال، فإنها تمثل الوجه التطبيقي للعولمة التي لاقت منذ برزت كظاهرة اجتماعية عالمية انقساما حول دورها الإيجابي أو السلبي في الأزمة الثقافية التي تعاني منها المجتمعات العربية وشبابها خاصة فهناك من رأى فيها الملاذ للخروج من أزمة الهوية ومأزق الثقافة العربية وتأخرها عن ركب الحضارة والانجاز الإنساني وهناك من رأى فيها مصدرا ومسببا للأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية وخطر يهدد الهوية الثقافية للشباب العربي من خلال ما تروج له من قيم ومعاير دخيلة عن هذه الثقافة باستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة خاصة الانترنت وما تتضمنه من تطبيقات وبرامج، فقد ذهب **كلود ليفي شتراوس** للقول:" إنّ فكرة الحضارة العالمية يمكن تقبّلها كنوع من مفهوم مجدّد أو خلاصة... مصغّرة شديدة التّعقيد، لا توجد و لا يمكن أن توجد حضارة عالمية بالمعنى المطلق طالما أنّ الحضارة تتضمّن و تتكوّن في الواقع من تعايش ثقافات تعرض أقصى ما يمكن من التنوّعات و الثّقافة العالمية يمكن في الحقيقة ألاّ تمثّل أكثر من تأليف عالمي النّطاق من الثّقافات كلّ منها يحتفظ بأصالته". (علي خريسان، 2002، صفحة 46)

ويتّضح من هذا التعريف أنّ العولمة نظام التّعايش بين الثّقافات في تفاعل إيجابي ومنافسة شريفة تعرض فيها كلّ ثقافة منتجاتها لهدف وحيد هو خدمة الإنسانية والتّواصل العالمي، وهو موقف

العديد من المفكّرين أمثال **علي حرب** الذي رأى أن فكرة الصّراع الحضاري التي يستند لها أنصار رفض العولمة هو في الحقيقة صراع الإنسان مع نفسه وصدمته التّي أخذها من هذا الصّراع ، ويقول **علي حرب** في ذلك:"... وهكذا لم تعد المسألة مسألة صراع بين الإنسانيّة والعولمة ولا مسألة صدام بين الحضارات أو بين الإسلام والغرب وإنّما هي صدمة الإنسان لنفسه ومشكلته مع ذاته". (حرب، 2001، صفحة 13)

وبهذا تكون الإشكالية قد خرجت عن مفهوم العولمة إلى استخدام الإنسان لهذا المفهوم وطريقة تطبيقه بما يخدمه وحده، الشيء الذّي أوصل الإنسانيّة اليوم إلى وضع شبه كارثي للضّعيف والقويّ، لأنّ من استعمل المفهوم هي العقول القاصرة عن فهم حقيقة التّواصل، فزاد الفقر والجهل والمرض والاستبداد بدل أن تحلّ تلك المشكلات بالتّفاعل البنّاء وليس الاستبدادي (حرب، 2001، صفحة 12)

وإذا كان **علي حرب** قد أبدى تحفّظه على تفعيل هذا المفهوم إلاّ أنّنا لا نلاحظ في تعريفه رفضا للعولمة بالمطلق، فهو يرفض الاستخدام الخاطئ لهذا المفهوم ولا يعارضه، وبالتّالي إذا أحسنت الإنسانية فهم هذا المفهوم وتفعيله ستكون نتيجة العولمة مختلفة تماما (عبد الحميد زرفاوي، 2006، صفحة 78)

الخاتمة:

مما سبق يمكن القول أن الثقافة عملية صناعة وعي مشترك داخل الجماعة ، والذي يعد بالغ التأثير في صناعة مواقف الحياة ويمكن أن يسبب تجاهله أزمة ثقافية بالإطار الثقافي للمجتمعات يمس مواردها البشرية والمادية ويجعلها معطلة أو شبه معطلة وهو ما كان بالمجتمعات العربية التي سبب تجاهل وضوح القيم والمعايير الاجتماعية التي يقيم عليها أفرادها توقعاتهم ومتطلباتهم الحياتية تحوّل التنوع الثقافي إلى صراع مرجعيات ثقافية بين النخب انعكس في صورة تشتت هوياتي لدى العامة والخاصة كما ألقى هذا الصراع القيمي بظلاله على منطلقات ومرتكزات مؤسسات التنشئة الاجتماعية (المدرسة، الأسرة، وسائل الإعلام) التي لم تعد قادرة على التأسيس لمناعة ثقافية بالنسبة للأجيال الجديدة، جعلتهم يعجزون عن إنتاج رموزهم اللغوية ودلالات أفكارهم انطلاقا من مرتكزات هويتهم الثقافية، وشعورهم بسيطرة الثقافة الدخيلة على توجيه فكرهم وعملهم.

قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعد الله. (1996). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (طبعة 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- برهان غليون . (1986). مجتمع النخبة (طبعة 1). بيروت: معهد الإنماء العربي.
- بن نبي ,م .(2000) .مشكلات الحضارة :مشكلة الثقافة) .ع .شاهين (.Trad ,بيروت :دار الفكر المعاصر.

- جيرار ليكلرك. (2004). العولمة الثقافية: الحضارات على المحك (طبعة 1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- جيوفيري نويل سميث، و كينتين هور. (1991). غراميشي وقضايا المجتمع المدني (طبعة 1). دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.
- حامد عمار. (د.ت). دراسات في التربية والثقافة: من همومنا التربوية والثقافية. د.ب: مكيبة الدار العربية للكتاب.
- حسن العاصي. (8 تموز, 2015). قراءة في أزمة الثقافة العربية. تاريخ الاسترداد 04 أفريل, 2021، من https://www.diwanalarab.com/قراءة-في-أزمة-الثقافة- .
- حورية هدهود. (2012). الاغتراب النفسي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى المراهق الجانح(مذكرة ماجستير). الجزائر: جامعة المسيلة.
- خالد محمد أبو شعيرة. (أبريل, 2013). الاغتراب في النسق التعليمي لدى الشباب الجامعي في ضوء بعض المتغيرات. مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات التربوية والنفسية، الصفحات 134-99.
- زهير الحروب. (2014). ثقافتنا التربوية: بين التخلف والتغريب والعولمة (طبعة 1). الأردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.
- عبد الله فهد النفيسي. (1986). التراث وتحديات العصر (طبعة 1). الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع.
- علي حرب. (2000). العالم ومأزقه، منطق الصدام ولغة التداول (طبعة 1). الدار البيضاء،المغرب: المركز الثقافي العربي.
- علي حرب. (2001). الأختام الأصولية والشعائر التقدمية (طبعة 1). المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عمر عبد الحميد زرفاوي. (2006). قراءة الراهن الثقافي: الثقافة العربية والعولمة وصدام الحضارات (طبعة 1). د.ب: منشورات قرطبة.
- عمر كامل السقاوي. (1988). وحدة الحضارة (طبعة 1). دمشق: دار الفكر.
- لمياء طالة. (2014). الاعلام الفضائي والتغريب الثقافي (طبعة 1). عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- ماكس هوركايمر. (1990). النظرية التقليدبة والنظرية النقدية (طبعة1). (مصطفى الناوي، المترجمون) د.ب: عيون المقالات.

- مالك بن نبي. (1976). وجهة العالم الاسلامي (طبعة 1). (عبد الصبور شاهين، المترجمون) بيروت: دار الفكر المعاصر.
- مامي زرارقة فيروز. (2014). مشكلات وقضايا سوسيولوجية معاصرة. عمان: دار الأيام للنشر والتوزيع.
- مجموعة من الأساتذة .(د.ت).(عالم الاتصال) .ع .عزي (.Éd ,الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد أبو القاسم حاج حمد. (1997). العالمية الاسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة (طبعة1). لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد السويدي. (د.ت). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري :حليلي سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.